

رأي آخر في التراث والآثار

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل عام كتبت ملاحظة (لم تنشر) على رأي لكاتب عربي بارز في كتاب (دليل الميالي العربية) لروبرت أون، أحدثُ تقرُّيبُ لكتاب (ألف ليلة وليلة) في سلسلة الماعجاب الغربي به، وأخذ منه الكاتب العربي أن: (ألف ليلة وليلة) لم يعط حقه من التقدير في موطنه.

وكان رأيي أن هذا الكتاب لا يستحق التقدير في العالم العربي وبخاصة بين المسلمين، ولم يهتم به العرب المقدوة في الدين والأدب لأنّه كان من سقط المؤلّفات بكلّ مقاييس الحكم الصّحيح: لغوية، وفنية، وخلقية، وشرعية، وتربوية، وإنما مثله (وإن كان يقصر كثيراً) مثل (رباعيّات الخيام) في الأدب الفارسي لم تنل خطوة تذكر في موطنها حتى ترجمها (فيتزجرالد) إلى الإنجليزيّ بنظّمه الجميل الرّاقى (بالمقاييس الأدبية الحديثة)، فالقيمة الحقيقيّة للرباعيّات إنّما هي لصياغة (فيتزجرالد) وليست لصيغة (عمر الخيام).

وفي العربيّة: القيمة الحقيقيّة للرباعيّات إنّما هي لصياغة أحمد رامي بشعره الرقيق المسّلس والمغايرة للأصل، ويظهر صحة هذا الحكم عند المقارنة بين ترجمة أحمد رامي للرباعيّات وترجمة أحمد الصّافي النجفي الموافقة للأصل.

والمواقع أن أكثر حكايات (ألف ليلة وليلة) ساذجة وساقطة ولما يصحّ ديناً ولما خلقاً ولما تربيةً ولما أدباً أن تقدّم نموذجاً فنّيّاً صالحاً للأبناء والأحفاد.

ولكن المسلمين في العصور المتخلّفة مستعدّون لتبّاع أيّ ذائق غربيّ (أو شرقيّ) في أيّ قضية فكريّة، ولو كانوا ألصق بها وأقدر على الحكم عليها.

نعم! يمكن الاستفادة من التّقنية والثقافة الغربيّة، وإنتاجها من البحوث الجادّة المفيدة في الأمور الدنيويّة، بل والدينيّة فقد أيّد الله الباحثين المسلمين في تقنيّة علوم القرآن بنصرانيّ ألمانيّ؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس المشامل لألفاظ القرآن، ثم (في تقنيّة علوم السّنّة) بنصرانيّ هولنديّ؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس المشامل لألفاظ الحديث أعانه على إخراجها وموئله عدد من الأفراد والمؤسّسات النصرانيّة.

ولكن أين من الشرع بل وأين من العقل: الاهتمام بورقة من المصحف من (جلد الغزال) يشترئها بمئات الألوف السدّج من الأثرياء مما

استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون أو المسدج من الموضفين على حساب الخزائن العامّة، لو كان الحكّم قول الله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولما تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)؛ لا يحب المسرفين في الطيب الحلال المضيد من أمور الدين والمدنيا، فكيف بالإسراف في القِيَم الخيالية فنّية أو جمالية أو رياضية أو فكرية.

ليس من شرع الله في شيء، بل وليس من العقل في شيء هذا التهاكك على (التراث والآثار) دينية أو دنيوية لمجرد مرور الزمن عليه أو قبوله في مجتمع صناعي.

ولئن كان الكافر معذوراً (وجنته في الدنيا) باللهو الخيالي فتتحول مقطوعة (فالس بوليو) من: (دقيقة من الأوركسترا بلا موسيقى) كما حكم عليها مؤلّفاً (رافل) بحكّم مجتمع (فيينا) المضي قبل 70 سنة، إلى مقطوعة من الدرجة الأولى الميوم، وتلقى لوحة (ماتس) في متحف نيويورك للضن الحديث ما تستحقه من المحفاوة والتقريض والماعجاب مدة شهر ونصف وزوارها يبلغون مئات الألوف من محترفي الفن وهواته ونقاده، ثم يتبين (بملاحظة غير فنّية) أن لها علقت مقلوبة طوال هذه الفترة.

فما هو عذر المسلم الذي يتقرب إلى الله بغير شرعه، أو ينشر المسق والتفاهة باسم الأدب والفن، أو يبذر المال الخاص أو العام على التقليد الخيالي لتقافة ضالة؟ قال عمر رضي الله عنه: [إن ما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم] وروي عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لم أرأى من اهتمام بعض المسلمين بزيارتها أو الصلاة عندها، وفوق ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عن دخول آثار المضالين إلا بالبكاء خشية الاصابة بمثل ما أصابهم، ولما شك أن تتبع آثار وتراث وثقافة المضالين في حاضرنا (بلا فائدة تسد حاجة أو ضرورة) وسيلة للإصابة بمثل ما أصابهم من الانحراف والمضال عن سواء المصراط.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين، تعاوننا على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان. □